النحوية التركيبية، وتكون فى خدمتها وبذلك لايمكن الفصل بين النحو والصرف فى المواقف الوظيفية وأن دراسة الصرف تكون فى خدمة السياق النحوى، ثم لا يستطيع الاهتمام بأحدها دون الآخر.

يقول عبد القاهر: «هذا وأمر النظم فى أنه ليس شيئاً غير توخى معانى النحو بين الكلم، وأنك ترتب المعانى فى نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ فى نطقك وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعانى لم يتصور أن يجب فيها نظم أو ترتيب»[1].

وتبع عبد القاهر فى هذا الاتجاه الزمخشرى، وعبد القاهر استقى عناصر نظريته هذه من أفكار ابن جنى والفراء وسيبويه وإن لم يكونوا جميعاً معاصرين له ومن فكرة التواشج والتآصر بين عناصر اللغة ومباحثها جعل ابن مالك الألفية تشتمل على أبواب النحو وأبواب الصرف وإن كان قد أخّر أبواب الصرف فى نهاية الألفية غير أن بعض الظواهر الصرفية التى تتطلق بالتركيب قد دمجت داخل أبواب النحو خصوصاً فى أبواب المشتقات والمصادر التى تعمل عمل فعلها وهذا ما نلخصه فى كتاب سيبويه حيث بعثرت مسائل الصرف داخل أبواب النحو. لكن المرحلة التى ألف فيها ابن مالك ألفيته كانت العلوم فيها قد نضجت واستقلت بل أن مسائل النحو والصرف واللغة قد استقلت هى الأخرى فى مؤلفات منفصلة.

فعلم النحو نما نمواً متدرجاً، وأنه كان فى أول نشأته محدود الدائرة ممتزجاً باللغة والأدب. ثم أخذ ميدان النحو يتسع عن طريق اهتمام العلماء بتمحيص مسائله ومباحثه وتدوين هذه المسائل والمباحث فى كتب خاصة بالنحو.

وظلت هذه الكتب تتدرج وتنمو حتى وصلت إلى ما بأيدينا الآن من كتب ألمّت بجميع أطراف البحوث ووصلت فى تمحيصها إلى أعمق حدود البحث والاستيعاب.

---

(١) عبد القاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز، ص ٢٩٥.